تجربة شعرية جديدة ...

كلمة لا بد منها

لا أعرف ماذا حدث .

في البداية ظننتني أعايش من جديد تجربة العمود الشعري التقليدي . وكنت سعيدا بها . لقد كنت وحدي تماما ، وبغير وسيلة للكتابة ! وأحسست بالنسيج التقليدي للقصيدة العربية يغمر نفسي بالرصانة ، باحساس عميق بالثقة والكبرياء والتاريخ الحي . فلت لنفسي لعلها الوحدة والرتابة ، هما اللتان استعادتا في نفسي هذا النسيج التقليدي .

ثم لم ألبث ان فوجئت بعد أن تخلصت من وحدتي بانه ليس في هذه التجربة من النسيج التقليدي غير القافية المطردة . أما التفعيلات فلا تنتسب الى بحر منتظم من بحورنا بل لا يكاد يمسكها انتظام محدد . بل تخرج ـ في بعض القصائد ـ عن ان تنتسب الى تفعيلة ما . وهكذا وجدتني امارس تجربة شعرية ، لا هي من العمود التقليدي ، ولا هي من الشعر الجديد الذي يقوم على التفعيله الواحدة ، او حتى على النبر كما يقال احيانا وطويت قصائدي حزينا ، بعد جهد طويل شاق قضيته احاول ان اتفهم طبيعتها ، لم اصل منه الى شيء . ثم التقيت بالدكتور محمد النويهي . قال لي : هذا ايقاع موجي ! وقال لي ايضا : ليس معنى هذا انني اوافق على كل صياغاتك . فانني ارى فيها عدم استواء حتى على اساس الايقاع الموجي . وقال لي ايضا : لا تنشرها في ديوان دفعة واحدة . ارى الاكتفاء بنشرها قصيدة قصيدة . لتتعرف على ما تحدثه من أثر وردود فعل .! ان الشكل الجديد لم يقبل بعد. فما بالك بهذا ؟ أتوقع له الرفض الشديد .

على اني في الحقيقة لست متحمسا لمعركة شكلية ، سواء تلقيت فيها الرفض العنيف او الرفيق . بل اعترف اني جلست الى هذه القصائد ، احاول تسويتها واشاعة الانتظام فيها . ونجحت ثم تأملت نجاحي فرفضته . واستبقيتها على حالها . انها هكذا اكثر تعبيرا عن نفسي ، وعما احس به ، وعما ارجو ان انقله للناس .

وحسمت امري . وها انذا ابدأ في عرض بعض هذه التجارب على قراء « الآداب » .

انا اعرف انه شعر بغير صياغة شعرية. ولا فن بغير شكل . على اني أومن كذلك أن الشكل مرتبط بالتجربة ، بالمضمون ، ومتعانق معهما تعانقا حيا . وانه ليس هناك شكل نهائي مطلق .

على ان ما اخشاه ، ان يغلب الخلاف في الشكل ، على ما احسه مخلصا في هذا الشعر من تجربة انسانية حميمة .

هذه كلمة لا بد منها . وان كنت اتمنى ان ينساها القارىء تماما وهو يصاحبني ـ متفضلا ـ في رحلتي الشعرية .

محمود امين العالم

تعليق « الآداب » :

ننشر هذه « المادة الشعرية » على علاتها ... تاركين للنقاد والشعراء والقراء ان يبدوا رأيهم فيها ..

المسيح وفينوس

بكل اشواقي للرؤية ،
للتعبير ، للتخطى ،
لتحدي المغلق والمجهول ..
بكل عطشي للنور ، للظلال ،
للالوان ، للجميل ، للجليل ..
بكل حبي للانسان ،
لجهاده ، لاستشهاده ،
في سبيل الممكن والمستحيل ..
استقبلته بين يديّ على باب زنزانتي ،
وهو يهم بالدخول .
لا .. ليس انسانا بعينه ،
وانما هو « الانسان » في تاريخه الرائع النبيل،
محتشدا في كتاب عن الفن ،
تنبض لوحاته بالحياة ،
بل تكاد ان تقول .
وأقفل السجان الباب ، فلم احفل ،
وأوليت ظهري لبابه المقفول ،
وولجت بابي ، الى محرابي ،
آه ... يا نفحة عطر من مكتبتي ،
تغمرني بالبهجة والذهول .
اذكر موضعه منها ،

على يمين « رأس المال » ،
على يسار « القرآن » و« التوراة » و«الانجيل»
وولجت بابي ، الى أحبابي ،
أتابع الاصابع ،
البارعة المبدعة ،
في مسيرها الطويل
من نداء الابواق والطبول للمجهول ،
حتى رفيف العيون والقلوب والعقول
من رسوم الانسان الاول في كهوفه الغامضية ،
حتى الكهوف الغامضية في رسوم هذا الجيل
تنطق الاحجار بالافكار ،
والصمت بالايقاع ،
والفراغ بالوجود المتوتر المأهول .
لا أعرف ، لم وجدتني مرتحلا ،
الى القرن السابع عشر ،
أصلّي لمعجزاته .. واطيل .
آه .. يا عصر الصدق والتمرد والتجرد ،
والتصدي والتحدي ،
والتغيير والتبديل
آه .. يا عصر الرفض الساطع ،
للأوهام المحلقة ،
والأكاذيب المزوّقة ،
والجمال المسطّح المصقول .
من ذا يضيء بدايته بالحسارة ؟
« برونو » الشهيد ،
محطما صنم أرسطو المهول
من ذا يحرك الارض ،
يحررها من براثن محاكم التفتيش ،
جاليليو الجليل .
وها هوذا كامبانيللا ..
يبني في مواجهة الظلم والظلام ،
مدينة شمس ، لا تعرف الأفول .
ويرافق الفن كل هؤلاء وغيرهم ،
في رحلة الخلق والصدق ،
ويحاول الوصول .
آه .. ما أروع الالوان الصريحة ،
والظلال المفضوحة ،
والحقيقة الحية ،
والوهم المقتول .
الفرشاة هبطت الى الارض ،
تزور الجميل الجليل ،
كما تزور الدميم الذليل .
الفرشاة تمتزج بالحياة ،
تصاحب البسطاء ،
تدق الابواب ،
توحي .. بل تقول
ماذا يقول مسيحك « يا كارافاجو » الفقير ،
وماذا تقول فينوسك يا « فلاسكيز » النبيل ؟
يا للكارثة !! أين هما ؟
كانا هنا !
من انتزعهما من العصر ..
من الكتاب ..
ومنعهما من الدخول ؟
ما الذي أغضب السجان :
المسيح .. بعريه المعذب ،
أم فينوس بعريها الجميل ؟
« المسيح يجلد » .. و « فينوس تتزين (١) » ،
كلاهما يمارسان طقوس الرحيل ،
الى اله الحب ، في الارض ، في السماء ،
في الانسان ، في الاكوان ،
وان اختلف السبيل !
أم لعلّ السجان قد أشفق على المسيح ،
فلم يسمح له بزيارتي ،
حتى لا يضاعف من عذابه المهول .
أم خشي ان يلاشي عذاب المسيح ،
عذاب سجني التافه الضئيل !..
ولعله اشفق على عري فينوس ،
أن تغطيها زنزانتي ،
بثوبها القاتم المنحول ..
ام خشي ان يغطي عري فينوس الرائع ،
قبح زنزانتي وعريها الهزيل !..
ام لعل هذا السجان قد تصور
ـ يا للحماقة ـ
أن عرى فينوس يثير ....
ماذا أقول !
ثم .. ما اكثر ما وجدت في العصر
في الكتاب
من فنانين آخرين ،
بين جريح وقتيل .
يا للخجل ... من براثن سجان
تمزق ما نسجته ،
أصابع فنان اصيل ..
أو غير اصيل .
يا للعار ... في قرننا العشرين
من محاكم تفتيش
على العيون ،

---

(١) اسم اللوحتين .

فضلا عن العقول !
لست أغالي ، انها « الجريمة الرمز »
فما أكثر ما يحدث في عصرنا ..
من هذا القبيل .
كم مسيح يصلب كل يوم في عصرنا ،
وكم فينوس يمزّق عريها النبيل !
آه ... يا كتابي العزيز ..
أصبحت شاهد عصري ،
وشهيد سجني ،
بلوحاتك التي لم تعد تقول ..

قراءة لجدران زنزانة ..

أغلق في وجهي الباب ،
وجدتني أقبع ..
في قاع زنزانة مكفهرة صدئه ..
استقبلتني في البدء
بالتحفظ ، بالصمت ، بالهزال ،
ثم فاجأتني .. ثرثارة ممتلئة .
كأنما اخذت ـ فترة ـ تتفرس في ملامحي ،
تقرأ في حقيقتي الظاهرة المختبئة ،
قبل ان تكشف لي عن وجهها ، عن صدرها ،
عن عريها ، عن حليها الزاعقة المتلألئة
ووجدتني أدور كالمبهور ،
بين عوالم تضج .. في جدرانها الاربعة المهترئة،
عوالم من الرسوم والنقوش والكتابات ،
المتزاحمة ، المتصايحة ، الفائرة ، الناتئة .
كأنما تقول لي : هذا أنا ...
من أنت ؟
ما وراء هذه الزيارة المفاجئة ..
لكنني وجدتها أكثر من هويّة ..
ملامحا قائلة ، وبصمات منبئة
مواقفا شتى لمجهولين ،
عبروا من هنا ،
وتركوا أنفاسهم على الجدران متكئة
لعلهم ما التقوا في الحياة ، والتقت حياتهم
ـ في غيبتهم ـ متحدة ، متجزئه .
يا لوحة المتناقضات في مسيرة الانسان :
المحتشدة والمرتبكة ،
الشامخة والمنكفئه ،
الرائعة والضائعة ،
الجليلة والهزيلة ،
الاصيلة والدخيلة ،
المحتشمة والهزأه .
كأنني سجين دفتي كتاب عن الانسان ،
ما أكثر من كتبه ،
وما أقل من قرأه .
او أنني في قاع كهف من كهوف التاريخ ،
ما أكثر ما تداولته القبائل المتناوئه
أو أنني في خيمة من ضمائر ،
وجدت نفسها وحيدة ،
فتعرت ، صريحة مجترئه
ما أصدق ما تحفره ، ما تضيئه أنفاس وحدة الانسان ،
في وجه لحظة منطفئه
هل أضيف نفسي للجدران ؟. لا ...
اضافتي الآن ، أن أعرف الانسان ، ان اقرأه
ان اعرف نفسي منه ، اعرف نفسي فيه ،
وان خالف مبدئي في الحياة مبدأه .
وأخذت أنصت للجدران ،
ابصر غائبين ،
أتقرّاهم بلمسة مستشفة متنبئه ..
من ذلك الصارخ في البرية باسمه ؟.
ينشره كالفجر في آفاقها المذنبة الخاطئه
من ذلك الصارخ في البرية باسمه ؟
يبذره ، يزرعه في ارضه الجائعة الظامئه
« يا رب » ... جبهة مشرئبة للسماء ،
وكفان ضارعتان ،
ونظرة متوضئه .
«يا رب» ... أجنحة خضراء رفافة بالخلاص، بالايمان
في قبضتي زنزانة صابئه .
ما اكثر من انطقوا الجدران باسمه ، بالشهادتين ،
بالمعوّذتين ، بآياته القادرة المهدّئه
لكنني .. أحسست ان الله بينهم منقسم
فعند هذا غاية ، وعند ذاك .. تكأه .
حقا ، لقد ابصرت من يقول « ألله » داخل نفسه ،
ويعيشه مسيرة وسيرة مضوّاه
لكنني .. سمعت من يناجي ربه ،
كأنه يناجي نفسه ،
أو انه يفوي بمعسول الكلام امراه ..
سمعت من ينادي الله ، لا لوجه الله ،
بل في وجه سجان تزلفا وتوطئه .
يشترون الله في الضيق ، بالصوم والصلاة ،
وكانوا يبيعونه في السوق بالمدانأه !
عذرا اذا قسوت ... ما أنا الا قارىء للحياة ،
في زنزانة خبيثة مستقرئه .
وان أكن احترم الانسان أيا كان ،
يحفر في الجدران ، ضعفه أو مبادئه .
والمجد للانسان ، يستحضر المطلق الشامل ،

في زنزانة حياة محدودة متجزئه
وأخذت أنصت للجدران
أبصر غائبين ،
أتقرّاهم .. بلمسة مستشفة متنبئه
من ذلك الصارخ في الجدران باسمها ، بجسمها ،
مرقعا حروفه ، مرقرقا شواطئه
مفجّرا عطر الانوثة ، موقظا أسرارها ،
في جثة الزنزانة الدميمة المتهرئه
من ذلك الذي يعالج العقم والبرودة في رحم الزنزانة ،
بأصابعه الدافئه .
من ذلك الذي يتحدى الزنزانة بالبيت ،
والانفصال بالوصال ،
والجهامة بالمباذاه
من ذلك الذي يتحدى الزنزانة بالبيت ،
والقيد بالطريق والحرية والمباداه ؟
هل هو زوج، أم عشيق، ام اب ام ابن، أم شقيق ؟
سواء .... فهي في حياته امراه
هي الامان والحنان والمتعة والخصوبة ،
والاستمرار في رحلة منتهية وبادئه .
وهي الاستقرار والوحدة والتنوع ،
والوطن والارض ... والمائدة الهائئه
وهي الجمال والالهام والابداع والفن
والطفولة والتفاني والبطولة الهادئه
وهي الحب .. صلاة للبهجة والتجدد في حياة الانسان
أو نعمة جسدية طارئه
وهي الطبيعة .. محتدمة بالنسمات الناعمة ،
والعواصف الشرسة ، والاهواء المفاجئه
يا لوحة المتناقضات في حياة امرأة ،
هي الحياة كلها ، وحكمتها المتبوئه .
ما اكثر من انطقوا الجدران باسمها ، بجسمها ،
بحبهم لها ، مدانة ، او مبرأه ..
يحبها قديسة ، يحبها عاهرة ،
يحبها .. يحبها ، حمامة او حداه
يحبها كما يحب نفسه ، كما يحب الحياة ،
والطبيعة الفامضة المتلألئه
يحبها رمزا لحرية الحياة ، لاستمرارها ،
لانتصارها على اسرارها المختبئه
« يحبها » .... صرخة انسان يتحدى بها
جيوش قضبان واسلاك معباه .
وانني احترم الانسان ، يحفر في الجدران ،
أهواءه ، او اشواقه او ملاجئه .
والمجد للانسان ، يستقطر الرمز الكبير
من تفاصيل ذكريات حياته المتجزئه .

وأخذت أنصت للجدران ،
أبصر غائبين ،
أتقرّاهم بلمسة مستشفة متنبئه
من ذلك الساحر ، الذي يملأ الجدران بالأرقام ..
في رقع صغيرة مجزاه
أبصر في خاناتها المصطفة الممتدة ،
آثار خطوات ثقيلة متباطئه ،
خطوات الأيام والاسابيع والشهور والاعوام ،
صاعدة ، منتهية ، مبتدئه ،
محفورة ، محصورة ، لكنها زاخفة ،
مصرة ، مستمرة ، جسورة ، متجرئه
ترافق الافلاك والحياة في دورتها
في رقصتها
وتغنّي لغد ، غير عابئه .
ما أكثر من أطلقوا الزنزانة في الفضاء ،
ورصدوها من طاقة مسدودة منطفئه
مهدا له ، يحرر المكان بالزمان ،
والجماد .. بالفكرة الصانعة البارئه
وأخذت أنصت للجدران ،
ابصر غائبين ،
أتقرّاهم بلمسة مستشفة متنبئه ..
ماذا تبقى ؟!.. بضعة اسماء وتواريخ تناثرت ،
كأنها اوراق هوية مهترئه
لم يحفر الانسان اسمه في الجدار ، في الاشجار ،
في الآثار القديمة ، والكهوف المختبئه
للذكرى ؟ أم يوقع بالملكية ؟ أم يؤكد ذاته الحية
فوق ذواتها المتشيئه
ماذا تبقى ؟!
ما لم أجده !..
كانت هنا ..
كنت هنا من قبل في زيارة سابقة طارئه ،
أغاني الرفاق بالنضال من أجل
حياة حرة ، سعيدة ، متكافئه ..
محيت بالطبع !.. لكنني أسمعها متلألئة بالحياة ،
رغم زنزانتي المكفهرة الصدئه
ماذا تبقى ؟!
لا شيء سواى ،
جالسا مؤتنسا ،
لقد وجدت في قوقعتي لؤلؤه .
هل أضيف نفسي للجدران ؟ أضفتها ...
بهذه القصيدة المقروءة .. القارئه

يوليه ٧١ **محمود امين العالم**